● أمام قصر الحسن بمدينة دمت في محافظة الضالع تعيش مشاعر تغيرات الحياة ، وكيف تأتي وتتعزز معها التحولات .

في هذا المكان يتهيأ للمرء لحظة انهيار أسوار العزلة وقلاع التخلف كانقاض تاريخية لاداعي لها .

لكن شواهد التغيير ليست بتدمير القلاع والقصور القديمة ، وانما سكانها فقد اصبحت هذه المباني الفاخرة لحظة قيام الثورة السبتمبرية مأوى لاناس عراة جياع يتألفون مع اصداء العاصفة الثورية تركوا الماضي خلفهم ، احتشدوا لتلك الشعلة التي بدأت تنطلق شرارتها من تحت رماد الانقاض القديمة ، ومن تحت رماد ركام القرون .

استطلاع وتصوير/علي الشرجي

# دمت تنهض من تحت الركام

## من حامية لبطش الإمامة الى محمية للسياحة العلاجية

● صحيح أن الثورة ثابتة الى الابد في هذه الارض الطيبة .. كل ذرة رمل فيها تحكي ملاحم التغيير والتطوير .. العمل والأمل .. باتساع اليمن الواحد .. وما قصر الحسن هذا سوى بقايا تذكر الاجيال بالماضي - فقط - الماضي الغابر - حينما - كان الوطن نصف نائم هرم مليئ ببقايا القدم ، وركام الانقاض.

● عند مدخل مدينة دمت على الشمال إن كنت متجها جنوبا ترى المعلم الوحيد «لمملكة الامام» في تلك المناطق .. وقد صار منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر مركزا للادارات الحكومية في المديرية . وقد اجريت له بعض ترميمات ، ويعود تاريخ بناء القصر «الدار» الى اربعينيات القرن الماضي حسب مصادر تاريخية .

تدخل الساحة الرئيسية التي كانت ميدانا لمظاهر حكم الامام القمعي .. المبنى كان ضخما في حسابات ذلك الزمن لاشبيه له في عموم المنطقة .. شبه قلعة غير محصنة .. تائه في محيط عدائي مع البيئة الخضراء .. ويحتوى على فناء داخلي .. وبعض ابراج في الزوايا في الخلف يمر بصمت غيل وادي بنا الشهير .

قصور الامام او ابنائه «سيوف الاسلام» ذات طراز واحد في مختلف مناطق البلاد .. تتكون من ثلاثة او اربعة طوابق تكعيبات مختلفة من النوافذ ، والسقف - غالبا- ما يكون مقسما الى غرف تغطيها السماء بدلا من السقف .. والتقسيم المعتاد للقصر هو ان تكون الغرف المأهولة بالسكان في الطوابق العليا، والمخازن، ومساكن الخدم والحرس والمكاتب في الطوابق السفلى .. ولكل بيت أو قصر فناء داخلي ، ويشكل السور شرفات داخلية وسلالم متعرجة .

في هذا القصر كما في غيره كانت تدار أدوات القهر والبطش التابعة لنظام الائمة البائد .. في هذا القصر كان يسود قانون البقاء للاقوى ، والموت الحتمي للاقل تحملا..

في هذا القصر كان يوضع الرهائن كضمانة بأن قبائلهم وعشائرهم لن تقوم بعصيان ضد الامام وعكس ذلك يعني ان تطير رؤوس الرهائن ..

ويعتبر نظام الرهائن واحدا من احجار الزاوية للنظام الكهنوتي المباد .. حيث كان الامام يسعى من خلاله الى اخضاع القبائل غير المنصاعة له بشكل كامل .

يقول محمد صالح العولقي: ان مجرد اقتراب عامة الناس من القصر كان صعبا .. فدار الحسن شأنه شأن منازل كل ابناء الامام يحرس بيقظة من قبل حراس مناوبين ويتعرض كل قادم لتحر دقيق ، ولايسمح بدخول الدار ما عدا الوجهاء والخدم والعاملين فيه و«المثامرة» وهم القائمون على جباية الاموال ، والذين بأيديهم توصيات من الامام نفسه كانت مقابلة العسكري أمراً غير مرغوب فيه كان ينظر إليه بأنه مصيبة وكارثة.. كمصدر شؤم لا يقل خطورة عن اسراب الجراد التي اجتاحت البلاد بكثرة خلال تلك السنوات العجاف التي التهمت الأخضر واليابس.

ومما يتذكره الشيوخ القدامى في المنطقة عن حكاياتهم مع الجراد أنهم كانوا يكافحونه بالمراوح والشيلان وما يكسو عوراتهم من قطع القماش، واحياناً بالأعلام الحمراء.. أعلام الإمام التي كانت تكتب عليها «لا إله إلا الله» بأحرف بيضاء من أجل أن يكون النجاح حليف مطاردي الجراد وهم يركضون بين الشواجب ومن حول إلى آخر، وكأنهم ثوار يحملون يافطات النضال هنا وهناك.. كذلك يركض خلفهم النساء والصبيان- دون جدوى- لأنه لا يمكن الحديث عن وجود جهاز وقائي لمكافحة الجراد في مملكة الإمام.. بينما يمكن الحديث عن دوريات عساكر الإمام المخصصة لما يعرف اليوم بمكافحة التهريب وهي عبارة عن أطقم من الحمير والبغال يركبها عسكر كانوا يتربصون بالقوافل التجارية القادمة من عدن وخاصة التي حاولت أو نجحت في تجاوز جمرك قعطبة.

فكان العسكر يستحوذون على كل ما فيها إذا لم يدفع لهم «حق بن هادي» هذا المصطلح الذي تعود شهرته إلى أيام حكم الإمام.. حيث كانت للعسكري صلاحيات مطلقة وفي ذات الوقت لا يجرؤ أن يطلق طلقة نارية من بندقيته الخشبي إلا بإذن أمير الجيش.. وكانت عدالة العسكري هي المرجع الأول والأخير لإبقاء ما يمكن ابقاؤه من بضاعة القافلة وإعفاء صاحبها من الحبس.. فالظلم كان شائعاً، والتعسف قاعدة لمعاملة الرعية.

ويؤكد ذلك محمد صالح العولقي الذي كانت له صولات وجولات مع القوافل بصحبة أبيه في سنوات ما قبل الثورة.. وما تحتفظ به ذاكرته هو أنه كان ينتظر في دمت وصول الجمل المحمل بالبضائع من الضالع فيسرع في الظلمة الموحشة لما قبل الفجر للتحرك قدماً مستفيداً من برودة الليل.

ويتذكر أضواء الفوانيس المصنعة من العلب المستهلكة وهي تتمايل حول قصر الحسن ابن الإمام.. وكذا مشاهد الأيدي الممدودة المتزاحمة لأخذ «البخشيش» ثم يبتعدون راكبين لمواجهة أشباح الجبال تاركين وراءهم اشباح عسكر الإمام.

### مفارقات

كانت البلاد تئن تحت وطأة «مثمري» الإمام الذي لا يرحم.. ولا صوت يعلو فوق صوته، ولاقانون يردعه.. فشقاء السنين ومحاصيل الأرض من حبوب وثمار تحت رحمة «بلعوم الإمام» الذي لا يشبع.. فيما قصر الحسن وأهله يعيشون حياتهم الخاصة على مشارف غيل وادي بناء الجميل.

ومع بزوغ فجر ثورة ٢٦ سبتمبر انقلب الوضع تماماً في هذا المكان.. فتحولت الأجساد العارية والعيون الزائغة إلى وقود للثورة.. والدار تحول إلى ملجأ لمبيت الاحرار المسافرين شمالاً للذود عن الثورة ونصرتها من المتآمرين.. ننحني باجلال لكل أولئك الشرفاء الذين انخرطوا في صفوف الحرس الوطني والمقاومة الشعبية واعداد كثيرة من أبناء مديرية دمت كان لهم شرف المشاركة والمناصرة بكافة أشكال الدعم والمساندة منذ الأيام الأولى لإعلان قيام الثورة الأم وحتى يومنا هذا.

### لا شيء غيره

قصر سيف الإسلام الحسن بدمت.. كان في الأصل مقر حكومة مملكة الإمام في بقعة معزولة عن حياة الناس وأنينهم، بني القصر ولم تكن هناك مدينة تذكر... ولا شيء غيره في دمت باستثناء عدد من العيون الساخنة التي تنبض بالمياه العلاجية الطبيعية في سكينة وعزلة وعراء فارغ يفتقر لابسط مقومات الحياة/ لكنها/ تعالج الكثير من الأمراض الشائعة كالأورام الخبيثة والسمنة.

ما سبب اختيار دمت لبناء قصر للأمير الحسن فيها؟

يقال: إن الغرض من بناء القصر باسم الحسن هو استمتاعه بأوقات الاستجمام والاستحمام بمياه دمت الحارة واستراتيجية الموقع القريب من الأراضي الطيبة في وادي بنا الشهير بجريان غيوله على مدار العام وكثرة خيراته من الحبوب والسمن والعسل.

والمسألة برمتها مرتبطة بكل حيل نظام الإمام التي بواسطتها تجاوز كثيراً مهددات الفئة الحاكمة كمقاومة العناصر المعارضة داخل البلاد واكساب شرعية الحضور في مختلف الأجزاء والأطراف، وكل المهام الصعبة والمعقدة في ظل وجود تناقضات طبقية وقبلية ومذهبية كانت شائعة. وتؤكد المصادر التاريخية أن انتقال مركز مدينة دمت وسلطاتها من المدينة القديمة الواقعة في الضفة الشرقية لوادي بنا إلى الضفة الغربية للوادي الذي يعبر من خلاله شريان الطريق التجاري الجديد بين ميناء عدن والعاصمة صنعاء تمثل أولاً في تشييد قصر الحسن الذي صار يطلق عليه بـ«التاريخي» والواقع حاليا عند المدخل الشمالي لمدينة دمت الحديثة.. حيث تم بناء القصر في مطلع عقد الأربعينيات من القرن الماضي وتوسع العمران قليلاً في المنطقة الواقعة شمال حرضة الشولة الكبرى.

وظل كذلك حتى قيام الثورة السبتمبرية في العام ١٩٦٢م حيث تم إنجاز العديد من المشاريع الحديثة وتوسيع وسفلتة الطريق الرئيسي وبناء عدد من المدارس والمنشآت الصحية والحواجز المائية والمنشآت السياحية.. وبقيت دمت لفترة من الزمن عبارة عن مجموعة من المنازل والمنشآت القليلة حتى قيام الوحدة اليمنية المباركة في ٢٢ مايو ١٩٩٠م حيث بدأت تتشكل ملامح المدينة الحديثة الحالية.. وحققت نهضة كبيرة في مختلف المجالات التنموية وفي مقدمتها النهضة السياحية.

### عهد جديد

يقول عبدالكريم الكحلاني مدير عام مديرية دمت: الدولة عملت على تنشيط سلسلة من الخدمات السياحية المرافقة بفضل توفر مقومات وإمكانات السياحة العلاجية فيها والتي تحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية في عموم محافظات الجمهورية.

ومضى يقول: يطلق على دمت اليوم بـ«أعجوبة الماء والحجر تعيش خير الثورة التنموي والسياحي وقد شهدت مؤخراً وتحديداً يوم ١٧ يوليو الماضي يوم العطاء المتدفق يوم جاء الرئيس علي عبدالله صالح إلى قيادة البلاد.. شهدت تدشينها رسمياً محمية طبيعية للسياحة العلاجية ومنطقة تنمية سياحية.. وذلك خلال زيارة رئيس الحكومة وعدد من الوزراء والمسؤولين ورؤساء الهيئات والمؤسسات الحكومية. وتم افتتاح عدد من المشاريع الخدمية والتنموية ومشاريع أخرى جاري تنفيذها حتى نهاية العام الجاري بكلفة إجمالية تصل إلى ٤٥٠ مليون ريال.

وقد عاشت دمت مسيرة البناء والتعمير والتطوير عبر المراحل المتعاقبة منذ بداية عصر اليمن الجديد.. عصر الثورة .. الخير العميم والتاريخ المجيد.

وكلما مرت هذه المناسبة تخفق القلوب بحب الثورة والقائد.. بعد ماضي القهر والجهل والمرض.

## حكايات الرهائن والجراد والاعلام الحمراء «وبخشيش القوافل»

## انقلب الوضع تماما في دمت.. والقلوب تخفق بحب الثورة والقائد

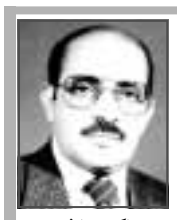

أشواق الأحد

عبدالكريم الخميسي

# أعداء الشجرة..!!

● من ينكر أن صنعاء الكبرى تحتاج إلى مليون شجرة، لكي تصبح مثل أي عاصمة عربية وليس أوروبية، ومع ذلك نجد (أعداء الشجرة) يصوبون فؤوسهم على جذوع الأشجار الباسقة التي تعتمد على (التمويل الذاتي) ولا تحتاج للملايين التي تصرف بالحق وبالباطل لتنشئة الشجيرات الصغيرة التي تحتاج للرعاية الكاملة بالماء والسماد والحراسة المشددة من اعتداءات الأطفال والماشية، بينما كان يمكن الجمع بين الحسنيين، ويتحقق (التعايش) بين الأجيال الخضراء، دون أية صعوبة.

● وكنت قد نبهت قبل أشهر إلى ما تعرضت له الأشجار العريقة في عدد من الشوارع الرئيسية ،وها أنا اليوم اسمع من ينبهني إلى أن الجناية تتكرر مرة أخرى في شارع حدة أمام سمع السلطة وبصرها.

● فأين أنتم يا أصدقاء الشجرة؟! إنني أدعوكم اليوم للدفاع عن (صديقتكم العزيزة) قبل أن تنقرض.. أين أنتم يا أحزاب الخضر، ويا أنصار البيئة؟؟ إن كل عواصم العالم زاخرة بالأشجار الباسقة، فما هو الضرر من المحافظة عليها وتهذيبها وتحسين محيطها؟؟

■ إنني على يقين من أن الأخ أمين العاصمة والاخوة المسئولين في المجالس المحلية سوف يستجيبون لهذا النداء لأنهم مثلنا حريصون على الشجرة وغيورون عليها.. فهل نتفاءل بسرعة إيقاف هذه المذبحة القاسية على الأشجار التي تدرأ عنا الغبار وتمنحنا الظل والحنان أو كما قال الشاعر المنازي:

تصد الشمس ان واجهتنا
فتحجبها .. وتأذن للنسيم

ص . ب (٤٨٤١)
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

# المراكز العلاجية التخصصية

● المراكز العلاجية التخصصية التي افتتحها أمس فخامة الأخ علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية في هيئة مستشفى الثورة العام والمستشفى الجمهوري بصنعاء تعد أهم المراكز التي ستعالج أمراضاً معقدة كانت تضع المصابين بها بين نارين إما الموت البطيء، أو سحب كل المدخرات وبيع ما خفي وزنه وثقل حمله لتوفير نفقات العلاج بالخارج، وحتى كل ما يجمع لا يسعف المضي إلى نصف مشوار الإقامة للعلاج فيعود الكثير منهم مع معاناتهم إلى الوطن بانتظار المصير المجهول.

كان مجرد أن يقف الدكتور للتساؤل أو مطالبة الفحص لمعرفة أحوال القلب والمخ واختبار مزرعة للكلى والأورام من أي مريض محدود الدخل يعني الشروع للقفز لهاوية اليأس والإحباط والكآبة.. ليس امتعاضاً وهروباً من قضاء الله وقدره.. وإنما الخوف من فتح باب لا يغلق من النفقات والبحث عن مصادر للمساعدة ومايترتب عليها من تداعيات نفسية عند عرض الحالة لمن يعتقد أنهم باستطاعتهم المساعدة وما على المريض وأقاربه إلا بلع مرارة لرفض الكبرياء والكرامة لمثل هذه المواقف.

وأنا في اعتقادي أن مثل هذه المراكز التي طالبنا بضرورة توفرها في بلادنا ستخفف من أي مضاعفات نفسية للمريض وأقاربه عند اكتشاف مثل تلك الأمراض المستعصية فيكفي أن الرحلة العلاجية ستنتهي بإحدى مستشفياتنا المحلية مهما كانت تكاليف العلاج.. ودفعها بالريال اليمني غير الدفع بالعملة الصعبة في الخارج.. والمخاوف من أي نتائج سلبية لا قدر الله في الوطن غير المخاوف من أعباء السفر والترحال والتنقل من وإلى خارج البلاد.

وكما سعدنا بافتتاح مراكز القلب والسرطان والكلى والمخ والأعصاب والفحص بالرنين المغناطيسي فإننا سنكون سعداء أكثر عندما تعزز الثقة بالقدرات الطبية والصحية العاملة في هذه الأقسام.. وتوفير العلاجات المناسبة بيسر وسهولة.. واستيعاب الأعداد الهائلة من المرضى.

وهذه النقطة بالذات ستحتاج إلى كفاءة عالية في الأداء المهني والإداري المسير لعمل هذه الأقسام.. ورفد الأقسام بالإمكانيات اللازمة والعناية بتأهيل الكادر الطبي ومواكبة كل جديد والانفاق على صحة الإنسان اليمني بسخاء لأن ليس هناك أغلى من الصحة!!

alariky@maktoob.com